

الغزل في شعر الشريف المرتضي (دراسة موضوعية فنية)

الدكتورة سميه حسنعليان

أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة أصفهان - إيران

shassanalian@yahoo.com

الباحثة فاطمة محلوجي

ماجستير في اللغة العربية وآدابها - جامعة أصفهان - إيران

Negarasili81@gmail.com

Spinning in Sharif Al-Murtada's Poetry (Technical Objective Study)

Dr.Somaye Hassanalian

**Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature ,
University of Isfahan , Iran**

Researcher Fatima Mahlouji

MA in Arabic Language and Literature , University of Isfahan , Iran

Abstract:

Women were and still are one of the main subjects that fathers and poets paid great attention to, and the main poetic purpose associated with women was spinning. And all the manifestations of love and adoration in spinning. On the one hand, and on the other hand, the great poet Al-Sharif Al-Murtada did not deviate from the line that the spinning movement followed. He had lyrical poems or flirtatious introductions to other poems for various purposes. From this standpoint, this research aims to study the spinning and manifestations of love in the lyrical poems of Sharif Al-Murtada, using the descriptive-analytical approach, concerned with the objective and artistic side. One of the most important findings of the research is that Al-Sharif Al-Murtada in his love is pure and pure, and he did not care about the woman's body and her excitement. In his poetry in simple language, far from being impatient, with passion and leaders, and with a delicate sense, using some verbal and moral enhancements to enrich his poetic language.

Key words : Platonic flirtation , Al-Sharif Al-Murtada , Love , longing .

الملخص :

لقد كانت المرأة وما تزال من الموضوعات الرئيسة التي أولي به الأباء والشعراء فائق اهتمامهم والغرض الشعري الأساسي الذي يرتبط بالمرأة هو الغزل. وتجليات الحب والعشق كلها في الغزل. هذا من جهة ومن جهة أخرى فالشاعر الكبير الشريف المرتضي لم يخرج عن الخط الذي سارت عليه حركة الغزل؛ فكانت له قصائد غزلية أو مقدمات غزلية للقصائد الأخرى في أغراض شتى.

من هذا المنطلق يستهدف هذا البحث إلى دراسة الغزل وتجليات العشق في القصائد الغزلية للشريف المرتضي، مستخدماً المنهج الوصفي - التحليلي، مهتماً بالجانب الموضوعي والفني.

من أهم ما حصل البحث عليه أن الشريف المرتضي في عشقه طاهر نقي، ولم يهتم بجسد المرأة ومثيراتها وقد ظهر حنينه وشوقه ولوعته إلى الحبيبة في غزله، وشكواه من صدها وإعراضها، وتحسره على انصراف الغواني عنه بعد إقبال الشيب عليه .. وكل هذه المعاني يَبْنِها في شعره بلغة بسيطة، بعيدة عن التكلف، وب عاطفة وقادة، وبحس مرهف، مستخدماً بعض المحسنات اللفظية والمعنوية لإثراء لغته الشعرية.

الكلمات الأساسية : الغزل العذري ، الشريف المرتضي ، العشق ، الشوق .

١- المقدمة:

الغزل من الموضوعات التي تناوله الكثير من الدارسين وأولوا عنايتهم إليه في أنواعه المختلفة كالعذري، والمطلق والتقليدي. وذلك لأن المرأة هي التي ارتبطت بحياة الأدباء - الكتاب منهم والشعراء - ارتباطاً قوياً وانعكست في آثارهم. ولا نجد في تاريخ الأدب العربي شاعراً إلا وتطرق موضوع الغزل.

هذه من جهة ومن جهة أخرى فإن العصر العباسي هو العصر الذهبي في الأدب العربي يجدر بالباحثين والدارسين أن يدرسوا شعراء هذه الحقبة ومن الشعراء الكبار الذين لم يكونوا شعراء فقط، بل كانوا علماء فقهاء مفسرين للقرآن الكريم .. هو الشريف المرتضي .. ومع أنه كان شخصية فذة كبيرة عظيمة في الأدب العربي لم يخل ديوانه من الشعر الغزلي ...

ومن هذا المنطلق يستهدف هذا البحث إلي دراسة الغزل في أشعار الشريف المرتضي المجموعة في ديوانه الذي نشر في مجلدين. ومن الأهداف التي يكون البحث بصدد تحقيقها هي:

- دراسة شعر الشريف المرتضي الغزلي واستخراج آرائه القيمة في موضوع العشق والحب
 - التعرف علي رؤية الشاعر في موضوع العشق وتبيين أهم الموضوعات التي ذكرها الشريف المرتضي في شعره الغزلي
 - دراسة شعره الغزلي من الناحية الفنية
- المنهج الذي توخينا في هذه الدراسة هو الوصفي - التحليلي.
- وبالنسبة إلي خلفية البحث فجدير بالذكر أن هناك عدة دراسات وبحوث اهتمت بالشريف المرتضي ودرست مؤلفاته وشخصيته وشعره؛ فلا تخلو الإشارة إلي بعضها من جدوي:
- نصر، علي. (١٣٧٩هـ. ش). تحليل فقهي رابطة سلطان و علماء دين از ديدگاه علم الهدي سيد مرتضي. مجلة انقلاب اسلامي. السنة ٢. الرقم ٤. ص ١٧٠-١٨٢.
- ﴿دراسة فقهية في بيان علاقة السلطان والعلماء من منظور علم الهدي الشريف المرتضي﴾.

- آرمين، محسن. (١٣٨٩ هـ. ش). سيد مرتضي و استفادة از علوم زمانه در تفسير قرآن. مجلة اسلام پژوهي. الرقم ٤. ص ٢٧-٤٤. ﴿الشريف المرتضي واستخدام العلوم العصرية في تفسير القرآن الكريم﴾.
 - حسينيان مقدم، حسين. (١٣٨٢). متشابهات تاريخي در آثار سيد مرتضي. مجلة پژوهش. السنة ٤. الرقم ١٣ و ١٤. ص ٢١٩ - ٢٣٤. ﴿المتشابهات التاريخية في آثار الشريف المرتضي﴾.
 - شكيب، محمود؛ محمد اسماعيل زاده. (١٣٨٨). مضامين مراثي حسيني در ديوان سيد مرتضي. مجلة النجمن ايراني زبان و ادبيات عربي. الرقم ١٢. ص ٨٣-١٠٥. ﴿المراثي الحسينية ومضامينها في ديوان الشريف المرتضي﴾.
- وكثرة هذه الدراسات لو دلت علي شيء لتدل علي كبر هذه الشخصية وعظمتها ومكانتها الرفيعة في الأدب، والتفسير، والفقه وغير ذلك من العلوم؛ إذ إنه كان موسوعة كبيرة تجدر الدراسة من الجوانب المختلفة.
- ولكن بالنسبة إلي العشق وأشعاره الغزلية فلم نثر علي دراسة وافية وهذا ما تكلفه هذا البحث واله هو المستعان.

٢- نبذة عن الغزل والعذري منه في الأدب العربي:

يتنوع الشعر الغزلي بين الغزل والنسيب والتشبيب وصف الطيف و.. والغزل هو مغازلة النساء أي محادثتهن والتغزل هو التعلق بهن .. والتشبيب هو الإشادة بذكر المحبوب وصفاته .. أما ابن رشيق القيرواني فيري أن الغزل والنسيب والتشبيب بمعنى واحد وهو الرأي الشائع بين الباحثين .. وهناك بعض الباحثين يفرقون بين النسيب والغزل ويعدون النسيب هو المدخل إلي القصيدة وابن قتيبة من الذين فرقوا بينهما وأعطى النسيب مميزات الخاصة به والمعبرة عن مشاعر الشاعر الصادقة من خلال الصدق الشعوري والتوق والحنين إلي الماضي وذكرياته. ويمتاز النسيب بالصدق الشعوري والواقعية والبساطة والتصوير المتقن وإنسانية العاطفة والصدق في الأخيلة والتعبير معا هذا بالإضافة إلي واقعية مكانية وجغرافية يصفها لنا الشاعر وكأننا نحيها (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١٩٦٩م، ٢٠-٢١).

كأن الغزل في بدايه القصائد له مفهوم تقليدي كما قال ابن قتيبة: «سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن ولآثار فبكي وشكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق لجعل ذلك سببا لأهل الظاعنين إذ كانت نازلة العمد في الحلول والظعن علي خلاف ما عليه نازلة المدر لانتجاعهم الكلاً وانتقالهم من ماء إلي ماء وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط في الصباغة ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وألف النساء فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا به بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسري الليل وحر الهجر وأنضاء الراحلة والبعير» (المصدر نفسه، الشعر والشعراء، ٢١).

«إن قطعة النسيب في مطالع القصائد الجاهلية تكتسب أهمية خاصة من حيث إنها الجزء الذاتي في القصيدة الذي يمكن أن يكشف تحليله عن أنه كان المجال الذي يصور لنا فيه الشاعر إحساسه بتلك العناصر الكونية الثلاثة .. اختيار القضاء والفناء والتناهي وموقفه منها» (براونة، الوجودية في الشعر الجاهلي، ١٩٦٣م، ٢٣٠). وقال صاحب كتاب الأغاني: «وبذلك تستحيل تجربة الطلل إلي وسيلة مادية يفصح الشاعر من خلالها عن مأساة التغيير الذي يدع كل شيء موجودا أو غير موجود في آن معا» (الأصفهاني، الأغاني، ١٩٦٣م، ١: ١٠٣). وكما ذكر النويهي في هذا الموضوع: «لذلك كان شعرهم شعر هذه الحياة بكل حدودها وكل إمكانياتها الفانية فمن وراء هذا الشعر يكمن إحساسهم بالزمن ومأساة انقضائه إحساسا قويا بليغا عظيم المرارة تجلي هذا الإحساس في مختلف موضوعاتهم الشعرية في وصفهم لرحيل المحبوبة وانفصام الصداقات وتبدد الشمل وخراب الديار التي كانت آلة ومصارع الحيوان الوحشي» (النويهي، الشعر الجاهلي، د. ت، ٤٢٨)؛ وإذا انطوت تجربة الجاهليين مع الطلل علي نزاع بين الاستقرار والرحيل بين الألفة والوحشة بين القرب والبعد ومن ثمة بين الحياة والموت .. فالشاعر العباسي كالشريف المرتضي ليس له مثل هذه التجارب مع الأطلال

والدمن ولا شك أن ذكرها في مقدمات قصائده لا يتجاوز التقليد والمحاكاة للماضين القدماء.

وبالنسبة إلي نشأة الغزل العذري فيقول ياسين الأيوبي حول هذا الموضوع: «وهو ردة فعل في وجه الحب الصريح، ظهر على مسرح الحياة العربية، في أواسط العصر الأموي لدى جماعة عاشت في بيئة حجازية ضيقة، لا تعرف إلا الصحاري والفراغ والضجر. ولم يعرف أول متغزل بهذا النوع بالضبط، وإنما عرف من أحبوا بطريقته» (الأيوبي، عمر بن أبي ربيعة رائد شعر الجمال والغزل الصريح، ٢٠٠٩م، ٥٤).

ومما هو الأحرى بالذكر هنا أن زمرة الشعراء العذريين قد عاشت فترة من الأوضاع المستجدة في العصر الأموي: انتشار القيم الإسلامية، والتمجيد العرقي والسياسي للسلالة العربية، والارتقاء إلي نمط جديد من الحياة الاجتماعية - الاقتصادية خاص بالمناطق المتقدمة، يضاف إلي ذلك سلطة ملكية تزداد تجبرا كانت إحدي تبعاتها اشتداد التعارض القديم بين البدو والحضر (١٤٣).

وقيل إن الشعر العذري هو بدأ في قبيلة بني عذرة وشعراؤها بدؤوا ينظمون الشعر علي هذا النمط .. ولكن علي أي حال الأسطورة العذرية ولدت وسط قبائل مستقرة بجنوب الجزيرة العربية فأمر يستلزم أنها تطورت في مرحلة عودة إلي البداوة حتي وإن قطنت ضواحي مكة. وهذه الزمرة جسدت هذا الحب وتماهت معه وعبرت عنه في مرحلة أدبية مفصلية شهدت ولادة شعر حضري صريح (المصدر نفسه، عمر بن أبي ربيعة رائد شعر الجمال والغزل الصريح، ١٤٥).

٣- الشريف المرتضي في سطور:

الشاعر الفحل والعالم الشهير أبو القاسم علي بن الشريف أبي أحمد الحسين؛ ولد في دار أبيه بمحلة باب المحول في الجانب الغربي من بغداد «الكرخ» في رجب سنة ٣٥٥ هـ من أبوين كريمين شريفين؛ وأبوه الشريف أبو أحمد الحسين الملقب بالطاهر الأوحدي المناقب لقبه بذلك الملك بهاء الدولة البويهلي لجمعه مناقب شتي ومزايا رفيعة جمعة، وينتمي نسبه إلي الإمام موسي بن جعفر (عليهما السلام)؛ اشتهر بألقاب مختلفة كالشريف، المرتضي، ذو المجددين، علامة المفسرين، شيخ الأدياء، علم الهدي وذو الثمانين ومن صفاته الخلقية أنه اشتهر بالبذل والسخاء والإغضاء عن الحساد والأعداء

وتتلمذ علي كثير من علماء عصره في العلوم الفنون المختلفة فإنه درس اللغة والمبادئ والفقه والأصول والشعر والأدب والحديث .. وكلها أخذها من علماء كبار أجلاء مشهورين بعلمهم وثقافتهم .. وقيل إنه كان في نعمة سابغة وخير كثير وثروة قل أن تنهياً لمثله من العلماء .. وبفضل هذه الثروة تمكن أن يعيـض في داره مكفول الرزق مقضي الحاجات لم يشغله غيره من مطالب الدنيا .. ومن الناحية السياسية والاجتماعية كانت له مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة لدى الخاص والعام ولذا قلـد نقابة الطالبين وأمر الحج والمظالم .. وحتى كان بينه وبين الخلفاء علاقات وثيقة ووشائج عريقة .. وكان سرهم الأمين ومشيرهم الناصح وسفيرهم المصلح .. وتوفي هذا العالم الكبير في ربيع الأول سنة ٢٣٦ و صلي عليه ابنه ودفن في داره ثم نقل إلى المشهد الحسيني بـكربلاء .. (راجع المصدر التالية: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، د.ت؛ الحموي، معجم الأدباء، ١٩٨٠م؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٣٩٧هـ؛ الشريف المرتضي، ديوان الشريف المرتضي، ١٩٨٧م، مقدمة الديوان) رحمه الله تعالى...

أما بالنسبة إلى المؤلفات فالشريف المرتضي صاحب التأليفات الكثيرة يناهز عددها ٧٠ مؤلفاً منها: إبطال القياس، الانتصار في الفقه، إنقاذ البشر من القضاء والقدر، البرق، تفسير الخطبة الشقشقية، تفسير قصيدة السيد الحميري، تقريب الأصول، تكملة الغرر والدرر، تنزيه الأنبياء، جمل العلم والعمل، الرسالة الباهرة في العترة الطاهرة، رسالة في المحكم والمتشابه، شرح مسائل الخلاف، الشهاب في الشيب والشباب، طيف الخيال، المصباح في أصول الفقه، المقنع في الغيبة، الملخص في الأصول، المنع في تفضيل الملائكة علي الأنبياء، الوعيد، النقض علي ابن جني في الحكاية والمحكي، أمالي المرتضي (غرر الفوائد ودرر القلائد)، و.... ؛ وله أيضاً ديوان شعر كبير حققه ورتب قوافيه وفسر ألفاظه رشيد الصفار ونشره في مجلدين، وقد زين طبعه بمراجعة الدكتور مصطفى جواد وكما قدم له الفقيه الأديب الشيخ محمدرضا الشيباني. «إنه جزل الشعر فخم الألفاظ ثر اللغة وافرها فلذلك كثر في شعره التصحيف من النساخ واستبهم كثير منه علي رادة الشعر وهذا هو الرجل الذي يصح أن يقال فيه إن أقل فنونه الشعر فقد كان

الشعر يفيض علي جناحه فيطفح إلي لسانه سالكا طريق بيانه» (المرتضي، ديوان الشريف المرتضي، ١٩٨٧م، مقدمة الديوان، ٢٢).

٤- الغزل في ديوان الشريف المرتضي:

وفي هذا القسم من البحث سندرس الغزل والعشق في ديوان الشريف المرتضي من الناحيتين الموضوعية والفنية. وقبل أن ندخل في صلب الموضوع فلا يفوتنا أن نشير إلي أن قارئ ديوان الشريف المرتضي يلاحظ أن الشاعر قد بدأ كثيرا من قصائده بمقدمات غزلية علي غرار ما صنعه القدماء في قصائدهم ولكنه سيحصل أيضا علي القصائد أو قل المقطوعات التي تخص بالغزل وفيها التذكر والتشوق من دون أن يلمس القارئ أثرا لجسد المرأة وهذه القصائد خالية عن الفحشاء والريية.

٤.١- الناحية الموضوعية:

من أهم الموضوعات التي ذكرها الشريف المرتضي في غزله إما في مقدماته الغزلية وإما في المقطوعات أو القصائد التي اختصت بالغزل والنسيب في ديوانه هي:

- الشكوي من الصد: من الطبيعي أن يشكو الحبيب من صد الحبيبه وإعراضها عليه؛ لأن الحبيب طالب وصلها وهي تمنعه .. فنلاحظ أن الشاعر في أشعاره الغزلية يشكو من الحبيبة ويث شكواه منها.. قائلا:

فإلى متى أشكو إلى ذي قسوةٍ وإلى متى أرجو نوالَ بخيلٍ

(٢: ٣٥٤)

أو قال سائلا:

ما ضرَّ مَنْ أضحى يصرَّحُ صدُّه ملالةٍ لو كان يوماً عَرَضاً؟

ألف الصدود فما يري إلا امرءا متجنيا أو عاتبا أو معرضا

(٢: ١٨)

أو يصفها بأنه إذا التقى بها في مني أظهرت صدودا وإعراضا ولكن هذا الصدود لم يكن من دأبها وعادتها:

أقول لها لما التقينا على منى وأبرزها ذلك الخمار المصبغ

وأبدتْ صدوداً لم يكن عادةً لها وقد يتجنّى في الهوى المتمرّغ
(٢: ١٠١)

أكثر الشريف المرتضي من تردد هذا المعنى الدال على الشكوي من الحرمان من الحبيبة
وصدها وهجرها.

ولكنه يبعث شكواه إلى الله تعالى من شدة شوقه إليها:
أشكو إلى الله أشواقي إليك وما في القلب من حرّ لوعاتٍ وروعاتٍ
(١: ٥٦)

أو يتمني أن يشكو منها إليها قائلاً:
فليتني ساعة أشكو صاباتها سرّاً إليها ولا أشكو إلى أحدٍ
(١: ١٨٩)

• التوجع من الشوق والبعد والهجران: الحبيب الذي يعيش بعيداً عن الحبيبة يعاني
من آلام عدة، تضيق الدنيا عليه وتشتاق إلي الحبيبة .. الشريف المرتضي أشار إلى
هذا المعنى في غزلياته .. إليك بعض النماذج منها:

إن في الأظعان قوماً حضروا الشوق وغابوا
وإذا عاتبّت منهم مُذنباً ضاع العتابُ
كل يوم لك بين لم يصح فيه غرابُ
وبعداً من حبيب لم يحن منه اقترابُ
(١: ١٨٤)

وقال أيضاً مخاطباً الحبيبة بحليف الهجر:
يا حليف الهجر هل للـ حبل موصولاً إيابُ
(١: ١٨٤)

الشاعر يدفعنا لنرى ذوبان قلبه وحرارة أنفاسه ونلاحظ كيف أنه يرسم لنا شوقه
وحينه إلى حبيبته. يتحدث الشريف المرتضي عن حبه ومكابدته الشوق ومواجهه وهجر
حبيبته وشوقه إليها وكثيراً ما يتحدث عن شوقه إلى حبيبته وتمنيه وصالها ولا وصال وأن
الحبيبة لا شوق لها ولا اشتياق للوصال أبداً:

وفي الفؤاد شجونٌ غيرُ زائلةٍ إن كان قلبك خلواً غيرَ ذي شجنٍ
مالي أراك بلا شوقٍ ولا كلفٍ ولا حبيبٍ تُرجيه ولا سَكَنٍ
(٢: ٥٥١)

ولا شك أن هذا الحزن الذي تسرب إلي قلبه أثر علي صفاء نفسه «لأن الحزن من
عادته أن يجلو النفس وجلو ما يصدر عنها وخاصة إذا كان شكوي من حبيب» (ضيف،
التطور والتجديد في الشعر الأموي، ١٩٦٥م، ٢١١).

وحتى من صعوبة الهجر وشدته يري أنه كان عقاباً لما فعل وارتكب من الذنب:
مَا كُنَّا نَخَافُ وَإِنْ جَنِينَا بِأَنَّ الْهَجَرَ كَانَ لَنَا عِقَابَا
(١: ٢٠٩)

• العاشق لا صبر له ولا جلد: كثير من العذال يدعون الحبيب العاشق إلي الصبر أو
التصبر ولكن الحبيب لا يري الصبر لي فراق الحبيبة ولا جلد له في هذا العالم:
لا تطمعوا في الصبر مني بعدكم فلقلما تتصبر العشاق
(٢: ١٥٤)

أو يري أنه بإمكانه أن يفعل كل شيء إلا الصبر علي العشيقي ومن يتظاهر بالصبر أو
يتصبر فهو منافق وظاهره يخالف مما في باطنه من الشوق والحنين:
كل شيء أدني إلي من الصبر — روصبر المشوق عين النفاق
(٢: ٢٠٢)

أو قال نافيا الصبر عن نفسه تماماً:

فإن يكن لك صبر فيه أو جلد فليس لي في الهوي صبر ولا جلد
(١: ٣٧٩)

• التحسر من انصراف الغواني عنه بعد شبابه: وهذا موضوع هام أشار إليه الشريف
المرتضي في قصائد كثيرة وحتى خص قصائد شتي لموضوع الشيب والشباب وله
كتاب معنون بـ «الشهاب في الشيب والشباب» جمع فيه قصائد كثيرة للشعراء
الكبار في هذا الموضوع.

يتحسر الشاعر الحبيب كثيرا علي إقبال الشيب عليه وإبار الشباب عنه وهذا أدبي إلي انصراف الغواني الجميلات عنه، لأن النساء غالبا لا يحببن الشيب ويعتقدن أن ليس في الشيب ما يجلب انتباه الغواني. قال الشاعر:

صدت أسيماء عن شيبني فقلت لها لا نفري فيياض الشيب معهود
(١: ٣٧٩)

وقال مشيرا إلي أن شعره الأبيض خوفاً النساء البيض منه وقطعن علاقتهن به ويتعجب الشاعر من فعلهن وكيف أنهن اتهمنه بالذنب والشيب ليس من ذنبه:
وبيض راعهن البيض مني فقطعن العلائق من حالي
جعلن الذنب مني حتي كأي جنيت أذي المشيب علي جمالي
(٢: ٣١٨)

أو قال في بداية قصيدة فيها يفتخر ويعرض ببعض أعدائه:
صدت وقد نظرت سواد قرونها عني وقد نظرت سواد مفارقي
وتعجبت من جنح ليل مظلم أني رمي فيه الزمان بشارق
أوميض شيب أم وميض بواتر قطعن عند الغايات علائقي
وكان طلعة شيبية في مفرق عند الغواني ضربة من فالق
(٢: ١٩٥)

يرتبط الحب عند الشريف المرتضي في مواضع كثيرة بالشباب لأن المرأة لا تحب إلا الشاب المغامر الجسور ...

- العاشق يبكي بكاء شديدا: الدموع في الحقيقة شكل من أشكال التعبير عن المشاعر والإحساسات والعاشق الذي يتعد عن عشيقته فلا سبيل له إليها فيعبر عن عاطفته وحزنه وشوقه بالبكاء والدموع كأنها تخرج من القلب وتخرج من مجاري العيون. قال ذاكرة أن العيون اغرورت دموعا في فراق الحبيبة:

فجفوني علي فرا — قك يقطرن أدمعا
(٢: ٤٨)

ويعتبر الدمع والنحول دليلين علي ادعائه في الحب والعشق .. وهذه الدموع تكثر حتي كأن السيل يجري ولا يستطيع أن يمنع عينيه من البكاء:

فإن أنت أنكرت ما ندعيه جعلنا النحول عليه دليلا
ودمعا تحبس قبل الفراق ويوم الفراق أصاب المسبلا

(٢: ٢٨٣)

• لا يجدي اللوم والعذل في طريق العشق: العذل لهم دور سلبي في سلسلة العشق والحب دائما ويحاولون التفرقة بين الأحبة فضلا أنهم يلومون العشاق ويعذلونهم علي الحب ولا يرون الفائدة فيه:

أيها اللائم الذي لا يملُ الله لومَ صباحاً حتى يلومَ عشياً
لمتني أن نبوتُ عمّن رماني ثم لم أقضِ أن أكونَ رمياً
وحقيق باللوم دونك دهرٌ لا أرى فيه صاحباً مرضياً
وهو يعرب عن تعجبه للؤم الحبيبة إذ هي تخلف وعدّها ولكنها دائماً تلوم الحبيب الوفي بوعده:

يلومني والجور من عنده كيف يلوم الوافي المخلص

ويري أن من لا علم له بالهوي والحب فهو لائم ويشكو من الوشاة إلي الحبيبة بأنهم ليسوا أصدقاء صادقين ولو كانوا كذلك لقالوا الحقيقة بأن الحبيب هو العاشق الذي سق من شدة حبه:

ولو صدق الوشاة إليك غني لقالوا إنه دنف سقيم
أفاقوا من هوى فلحوا عليه ومن لا يعرف البلوى يلوم
يلوم على الهوى من ليس يدري بأن ضنى الهوى داء قديم

(٢: ١٢٠)

• لا يمكن للعاشق كتمان سره: يذكر مخاطباً من يحبه أنه إذا استطاع أن يكتّم سره في هذا الحب لكتّمه حتماً ليخل بهذا الطريق علي قلبه وأصحابه ولكنه لا يقدر أبداً: ولو استطعت كتمت حبيكم للضن عن قلبي وعن صحتي

(٢٥٧:١)

- لا نسيان في العشق: يحرم الشاعر علي قلبه السلو والنسيان قائلاً:
حرام علي قلبي السلو وقد بدا لعيني عند الرقمتين قضيب
(١٨٧:١)
ويطلب من العذال صراحه ألا يطلبوا منه السلو لأنه في حاجة ماسة إلي من ترحل
وكيف يمكن أن ينساه:
لا تطلبوا مني السلو فليس من حاجي ولي في من ترحل حاج
(٣٠٩:١)
ويكرر هذا المعني في قصيدة أخرى (٢: ٥٧١)، .. ويعتبر من يدعو إلي السلو والنسيان
في الحب جهولاً بالحب وأنه يكذب وليس صادقاً في قوله وفعله:
ومن قال إن البين يسلي عن الهوي جهول بأسباب الغرام ككذوب (١):
قد اشتعل نيران الحب في قلبه وجعل الشوق يزيدها تأججا وقد كان يظن أن هذه
النار ستخمد بمرور الأيام وتقادم العهد ولكن الخطأ فادح في هذا الظن والقول.. لا
يستطيع أن ينسي ذكرها ويدعو غيرها؛ لأن الحبيبة قد استحوزت علي قلب الشاعر فلم
تترك فيه مكاناً لامرأة أخرى.

- الحب داء لا دواء له: غزله عفيف طاهر فيه خالص الحب والعشق وكأن الحب
استقر في قلبه ورسخ بين جوانحه وأحشائه فأصبح داء لا شفاء منه:
ودواء أمراض النفوس كثيرة والحب داء ليس منه علاج
(٣٠٩:١)
• لا لذة في الدنيا إلا لذة الوصال: لا يري الشاعر لذة أحلي من لذة الوصال ولقاء
الحبيبة حتي لا يرضي أن يشبهها بساعة الأمن أو حلاوة العسل، بل لذة الوصال
أحلي وألذ في مذاق الشاعر العاشق:
ولست أرضي تشبيهه لقيته بساعة الأمن أو جني الشهد
(٤١٦:١)

- العاشق هو العفيف: شعره الغزلي طاهر عفيف بعيد عن الأوصاف الصريحة التيأتي بها الشعراء مثل عمر بن أبي ربيعة والأحوص والعرجي في أشعارهم. قال في مقطوعة جميلة في الغزل وربط بين الغزل والعفة مستخدماً أسلوب القصة الشعرية .. مبينا أن في ليلة من الليالي جاءه زائر وهو ممن أحبه ولكن الشاعر لما كان له من خوف الله تعالى وخشيته لم يلمسه أبداً وهو عاد طيب الأثواب كاملاً وذلك لأن الشاعر عفيف ولا يفعل الحرام وقال في البيت الأخير منها:
غير أنني عففت حتي كأي أبا ليـه أو بغـيري مـابي
(١: ٢٢٢)

- هذا النمط من ذكر العشق فيذكرنا بالشعراء العذريين الكبار فضلاً عن أن الشاعر أضاف في بعض قصائده مسحة الإيمان إلي الشعر ولعل مرده هو أن الشريف المرتضي من أسرة تنتمي إلي آل البيت (ع) وكأنه ورث عفافهم وطهرهم.
- العاشق هو الصادق والخالص: يصف نفسه بأنه صادق مخلص في حبه وظهر هذا الإخلاص في الحب بعد أن فارقتة الحبيبة وهو باق علي عهده وما زال وفياً به:
ولما تفرقنا كما شئت النوي تبين حب خالص وتودد
(١: ٣٧٩)

- العاشق هو السقيم: في كثير من الأبيات يشير الشاعر إلي المرض الذي أصاب العاشق بأنع عليل ولا دواء لعلته وسقمه ومن سمات هذا المرض أنه نحيل وبه ضني: فلا تطلبوا مني دليلاً علي الهوي كفي بضني جسمي عليه دليلاً
(٢: ٢٩٥)

- العاشق هو ذليل العشق:
وما العز إلا سلوة لا هوي بها وكل أسير بالغرام ذليل
- صفات الحبيبة: من خصائص الغزل لدي الشريف المرتضي أنه كان يشير إلي خصائص الحبيبة وصفاتها.. ومن أهم هذه الصفات البارزة لها في شعره وهي الأوصاف الخلقية والمعنوية فمنها أنه يشير إلي:
البخل: يشكو من حرمان حبيبته له وضنها عليه بالنوال:

علّ البخيلة أن تجود لعاشقٍ ما زال يقنع بالخيال الطارقِ
(١٩٥:٢)

القساوة:

على كلّ حالٍ أنتِ قاسيةُ القلبِ فلا عذلي يجدي عليّ ولا عتبي
(٢٦٣:١)

حتي يصف الحبيبة بأن لها قلبا من الحجر:
وكدت أقضي غداة البين من جزع لو لم يكن لك قلب صيغ من حجر

مماثلة الوعد:

ويمطلني بالوعد منه وإنما يماطل بالميعاد من ليس يخلف
(١٠٧:٢)

أو يخاطب الحبيبة قائلاً:

وسوفتنا بالوصل منك وربما قضى دون وصل لم ينله المسوف
(١١١:٢)

الخلق الحسن:

مالك مثل يا غريب الصبا وليس لي في حبكم مثل
(٢٧٣:٢)

بعيدة عن الإنصاف:

وملكت منا بالجمال جماجما إن كنت منصفة فهن غلول
(٢٦٥:٢)

لا يميل الشاعر إلي الأوصاف الحسية للمرأة وتصوير شكلها الخارجي وإن يحصل
القار علي بعض الإشارات إليها... إليك بعض النماذج منها:

الوجه: وهو وضاء يتلألأ النور منه:

ولم أنسها يومَ الفراقِ ووجهها ضيءُ لنا خلفَ البراقعِ والحجبِ
(٢٦٣:١)

وحتى يري أن الحبيبة أحسن وجها من البدر ويقول إن من شبهها بالبدر فهو خاطئ:

يَا طَلْعَةَ لِلْحُسْنِ يَظْلِمُهَا مَنْ قَالَ يَوْمًا إِنَّهَا الْبَدْرُ
(١: ٤٥١)

القد: يصف قده وشبهه بالغصن أو قل هو أحسن منه حتي إذا ماس وتبختر للغصن
فالغصن ينجل أمامه:

مُحِيرٌ وَجْهُهُ لِلشَّمْسِ إِنْ طَلَعَتْ وَمُخْجَلٌ قَدُهُ إِنْ مَاسَ لِلْغُصْنِ
(٢: ٥٥١)

عطر الجسد: قال مشيرا إلي عطر جسده:

قُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ زَارَنِي مَعْطَرُ الْجِلْدِ بِلَا عَطْرِ
(١: ٥٣٧)

وهذه الأوصاف متناثرة في شعره.

ولا يفوتنا أن نشير إلي بعض النقاط الهامة منها:

- لم يوظف الشريف المرتضي الغزل لوصف المغامرات العاطفية والأجواء الصريحة للحب المادي كما فعل شعراء من أمثال عمر بن أبي ربيعة لأنه في الحقيقة كان بريئا من تلك المغامرات.
- لم يستثن الشاعر الشريف المرتضي من ركب الشعراء الذين تجلت الواحدية في هيامهم بالحبيبات وقد صرح في شعره أنه لا يستطيع أن يصرف قلبه عن هوي حبيبته أو أن يشغله بسواها لأن حبها ملأ عليه كيانه ووجدانه؛ فقال:
مَالِكَ مِثْلُ يَا غَرِيرَ الصَّبَا وَلَيْسَ لِي فِي حَبْكِمْ مِثْلُ
مَا شِئْتُ سَلَوَانَا وَلَوْ شِئْتُ لَمْ يَكْ عِنْدِي كَبْدٌ تَسْلُو
(٢: ٢٧٣)
- عندما نقرأ بعض الأشعار الغزلية للشاعر يبدو للقارئ كأن هناك امرأة حقيقية وراءها ولكن الحق أننا لا نجد حتي خيال المرأة خلفها بل نعثر علي شبح امرأة وهمية.
- احتلت حركة الضعائن في غزل الشريف المرتضي جزءا مهما من الغزل لأنها السبيل الأساس للوصول إلي المرأة. وذكر هذه الحركة علي سبيل التقليد والمحاكاة .. لأنه في الواقع لا ضعائن ولا حركة في عصره ..

- إنه اتخذ الغزل مادة لمقدمات كثير من قصائده في الأغراض الأخرى المختلفة ولا يميل إلي إطالة الغزل في مقدمات القصائد ... وإن نثر علي مقطوعات خاصة للغزل وكأنه قصد إلي الغزل لذاته.
- مرد نجاح الشاعر في مثل هذه الأشعار الغزلية هو نفسه التي تنطوي علي الأحزان والأشواق وكذلك ثقافته الشعرية التي ألم بها من خلال معرفته بأشعار كثير من الأدباء والشعراء القدامى فضلا عن رقة نفسه ولينها.
- نلاحظ أنه في قليل من شعره الغزلي خالف نهجه الغالب علي شهره (العفة في الغزل) ونهج بغزله نهج شعراء الغزل الصريح من مثل قوله:
أَظْمَأَ إِلَى تَقْيِيلِهِ وَلَوْ أَنِّي قَبْلْتُه لَمْ يَرَوْني تَقْيِيلُهُ
(٢: ٢٥٨)

٢.٤. الناحية الفنية:

نذكر في هذا القسم من المقالة بعض الخصائص للقصائد الغزلية وندرسها من الناحية الفنية بعد أن ألمنا بالموضوعات المطروقة فيها. ودراسنا الفنية للقصائد تضم بين دفتيها الإشارة إلي لغة القصائد، نوعية العاطفة وكيفيتها، وأهم السمات الأسلوبية فيها. تتسم لغة القصائد الغزلية أو المقدمات الغزلية بالوضوح والبساطة إذ كثير من الألفاظ واضحة جلية لا غرابة فيها ولا تعقيد ونري المعاني ترسل علي سجيته لتكتسي من الألفاظ ما يزينها وكل ذلك ظاهر مما ذكرنا من الأبيات والنماذج. ولعل هذه السهولة والبساطة في هذا النوع من القصائد تعبر عن صدقيتها وعدم تشتيت المتلقي. في مقدماته الغزلية كانت لغته الشعرية رقيقة مناسبة عذبة وكأنها قريبة من نفوس المتلقين تلتفت انتباههم، تستهوي أفئدتهم، وتأسر آذانهم. والغزل هو وليد عاطفة الحب وتصوير لنفسية قائله فهو إذن يتسم بالصدق الشعوري فقلما كان ينبعث عن محاكاة أو تكلف ويتسم الغزل بالصدق الفني والقدرة علي التعبير الصادق عن العاطفة والبراعة في تصويرها حتي لكأن الشاعر يجسمها لقرائه وسامعيه فيشاركونه مشاركة وجدانية في أفراحه وأتراحه ويشعر كل منهم أن هذا ليس تعبيراً عن عاطفة الشاعر وحده وإنما هو تعبير عن العاطفة الإنسانية الخالده وهو من أسمى أبواب

الشعر العربي إن لم يكن أسماها جميعا (محمد الحوفي، الغزل في الشعر الجاهلي، ١٩٨٢م، ١٢).

مقدمات الشريف المرتضي الغزلية جزء صميم من قصائده - أيا كان غرضها - ولا تؤدي هذه المقدمات إلي تفكك أجزاء القصيدة بل تبدو ذات وحدة عضوية موضوعية كاملة نابعة عن تجربته الشعورية الخالصة.

ونلاحظ أن شعره الغزلي أصبح هكذا تعبيراً عن لحظات شعورية تتعلق بالمجتمع الذي يعيش فيه، فيبتعد عن ذكر الأطلال في كثير من الأحيان لأنه شاعر في العصر العباسي وقد تحضر الناس في المجتمع العباسي واستقروا في بيوت فخمة فلم تعد هذه الأطلال والدمن والآثار الدارسة تثير كوامن عواطف الناس ومشاعرهم ..

مع ذلك نجد بعض المقدمات الطللية في شعر الشريف المرتضي. كأنه كان لا يزال متأثراً بعناصر الطابع البدوي وكأن هذه المقدمات أصبحت مدخلا لبث الشوق والحزن بسبب فراق الحبيبة:

هل الدار تدري ما أثارت من الوجد عشيّة عنت للنواظر من بعد
بكيّت ولولا نظرة بمحجر إلى الدار لم تجر الدموع على خدي
أيا صاح لولا أن دمعي لم يطح وقد لاح رسم الحي لم تدري ما عندي
كتمتكم وجدي طول ما أنت صاحبي فنادت دموع العين مني على وجدي

(١: ٢٤٥)

والعجيب في أمر الشاعر الشريف المرتضي أنه عندما يدخل في غرض الفخر لا يهتم بالعشق ويرى أن الاهتمام بالهوى والعشق من أعمال الإنسان الأحمق:

دع الهوى يتبعه الأخرق لا صبوّة اليوم ولا معشوق
ولا دموع خلف مستوفز تجري ولا قلب له يخفق
ولو درى أهل الهوى بالذي جنى الهوى من قبل لم يعشقوا

(٢: ١٥٩)

اهتم الشاعر بوصف مشاعر المرأة تجاهه أيضاً؛ إذ قال مشيراً إلي إحساس المرأة بالنسبة له بأنها كانت تظن أنه مخادع في شعوره:

وَتَحْسَبُ أَنِّي مُدَعِّعِنْدَهَا الْهَوَىٰ وَتُعْرِضُ عَنْ دَمْعٍ بِهَا أَتْرَعَ الْخَدَا
(٣٩٨:١)

كثيرا ما يلجأ الشريف المرتضي بالتشبيه والاستعارة لتجسيد الصور في غزله ويسعي
إلى الإيجاز والوصول إلى ما يريد نقيه بالألفاظ القليلة. وإليك نماذج من هذه التشبيهات:
يشبه العيون التي تجود بالدموع الغزيرة التي تجري منها بالسحابة الماطرة مطرا
شديدا:

ودمع تهاوي لا يري الجفن مترعا بواكفة حتي يري منه هابطا
(٣٣:٢)

أو وصف حالته في الشكوي مشبها نفسه بالفتي الذي يتعد عن البلاغة ولا يقدر
الإفصاح عما في نفسه لأنه ألتغ:

كَأَنِّي أَشْكُو الْحَبَّ شَكْوَى مُجْمَمٍ فَتَى ضَلَّ عَنْ وادي البلاغة أَلْتَغُ
(١٠١:١)

أو قال مشبها قلبه بما قُسم إلى قسمين قسم عنده وقسم عند من هجر من عنده وهو
عزيز عليه:

وَكأنَ قَلْبِي يَوْمَ يَمُنُّكُمْ شَطْرَ أَقَامٍ وَعِنْدَكُمْ شَطْرُ
(٤٥١:١)

يتعد عن وصف الجسد ومثرائه فيري الحبيبة ظليا يسحب عليه خصائص الأثني
الحبيبة:

حَلَّ ذَاكَ الْكِنَاسَ ظَنِّي رَيْبُ عَاصَتِ الصَّبْرِ فِي هَوَاهِ الْقُلُوبِ
وَاطْمَأْنَنْتُ بِكَ الْمَحَاسِنُ حَتَّى شَرَدْتُهَا عَنِّي وَعَنكَ الْخُطُوبُ
(١٨٨:١)

أو قال يصف دلالة وكيف أنه استولي علي قلبه:
صَادَ قَلْبِي عَشِيَّةَ النَّفْرِ ظَنِّي وَظَبَاءَ الْفَلَاةِ صَيْدَ الرِّجَالِ
ذُو دَلَالٍ وَإِنَّمَا يَسْكُنُ الْقَلْبُ — بَ كَمَا شَاءَ وَإِشْتَهَى ذُو دَلَالٍ
(٣٣٣:١)

أو ذكر الوصال علي طريقة الإستعارة المكنية إذ اعتبر له الطيب الذي انتشر منه في كل مكان، أو شبه المنى بماء صاف عذب في البيت التالي:
فَعَرَفُ الْوَصَالِ يَوْمَ ذَاكَ مُنْشَرَّ وَعَذْبُ الْمُنَى صِرْفٌ هُنَاكَ مَذُوقٌ
(١٦٤:٢)

أو شبه الوصل الذي تحقق بينه وبين خيال الزائر في المنام برداء بال أو ملاء مقطع:
تَطَايَرُ وَصْلٌ غَرْنَا فَكَأَنَّهُ رَدَاءٌ سَحِيقٌ أَوْ مُلَاءٌ مَشْبِقٌ
(١٦٤:٢)
أو شبه الحبيبة بالعين في الكرامة وهي عزيزة كما أن العيون عزيزة علي صاحبها وكما أن العيون لا تنجو من قذاة فالحب يتعرض له الواشون ويخللون به:
وَأَنْتِ كِرَامَةٌ عِنْدِي كَعَيْنِي وَمَا تَنْجُو الْعَيُونُ مِنَ الْقَذَاةِ
(٢٩٦:١)

أسماء النساء التي ذكرت في شعر الشريف المرتضي هي:

هند:

ماذا يضيرك هند من حبي وإذا قربت إليك من قربي؟
(٢٥٧:١)

أسماء:

كتمت من أسماء ما كان علن يوم طلّول ورسوم ودمن
(٥٦٥:٢)

وذكرها مرة بالتصغير:

صَدَتْ أَسْمَاءُ عَنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَنْفِرِي فَيَاضُ الشَّيْبِ مَعْهُودُ
أو لم يذكر الاسم ولكن أشار إلي ألقاب مثل: ذات البرقع:
من أين زرت خيال ذات البرقع والركب سار في جوانب بلقع
(٧٤:٢)

ولعل هذه الأسماء هي مستعارة كني بها الشاعر عن اسم محبوبته الحقيقي إمعانا في التعمية وحرصا عليها من التشهير.. إن كانت هناك حبيبة حقيقة في الواقع !!!...

ونراه يقتصر علي ذكر أسماء الحبيبة وكناهن والألفاظ لذكر المحبوبة أو المحبوبات عند الشريف المرتضي كلها ألفاظ لا تخرج عن دائرة العفاف والطهر، وكما نعلم كان الشريف المرتضي رجلاً فاضلاً ولم يشب بأسماء أبداً وقد استخدم أسماء رمزية .. وأسماء الأماكن التي ذكرها في شعره الغزلي هي:

نجد:

أَحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَنَجْدٍ بَعِيدَةٍ أَلَا حَبَّذا نَجْدٌ إِنْ لَمْ تُفِدْ قُرْبَا
يَقُولُونَ نَجْدٌ لَسْتُ مِنْ شَعْبِ أَهْلِهَا وَقَدْ صَدَقُوا لَكِنِّي مِنْهُمْ حَبَّ
(١: ٤٦)

خيف:

كُتِمَتْ مِنْ أَسْمَاءَ مَا كَانَ عَلَنَ يَوْمَ طُلُولِ وَرْسُومٍ وَدِمْنٍ
لَوْلَا لِيَالِي الْخَيْفِ مَا كَانَ لَنَا قَلْبٌ عَلَى حَبِّ الْغَوَانِي مُرْتَهَنَ
(٢: ٥٦٥)

عقيق:

إِنْ عَلَى رَمَلِ الْعَقِيقِ خَيْمًا زَوَدَنِي مَنْ حَلَّهْنَ السَّقَمَا
(٢: ٤٤٤)

الحجاز:

عَلَى مَنْ ثَوَى أَرْضَ الْحِجَازِ تَحِيَّةً فَلَيْسَ إِلَى غَيْرِ السَّلَامِ سَبِيلُ
(٢: ٢٤٢)

وج:

هَجَرْتُ وَنَحْنُ أَيقَاطُ بَوَجٍّ وَزَرْتُ بَنَعْفٍ كَاطِمَةٌ خِيَالَا
(٢: ٢٨٦)

نجران:

لَيْسَ إِلَّا نَجْرَانُ إِنَّا نَرَى مِنْهُ نَا قُلُوباً بِآلِ نَجْرَانِ هَيْمًا
(٢: ٤٤١)

اللولي:

على الرَّبْعِ رَبْعَ الرَّاحِلِينَ سَلامِي وإنْ هَاجَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ أَوَامِي
تَذَكَّرْتُ لَمَّا أَن مَرَرْتُ عَلَى اللَّوَى بِأَهْلِ اللَّوَى وَجَدِي وَطُولَ سَقَامِي
(٢: ٤٦٣)

أحيانا قد يولي اهتماما للجزئيات ليولد الإيحاء والانطباع والإعجاب والإثارة:
حَكَى لِي رِيقَهُ عَذْبًا ثَمِيرًا وَسَقَى مِنْ صَبَابَتِهِ دُعَا
(٢: ١٢٣)

ولعل اهتمام الشاعر بالطيف والخيال لو دل علي شيء ليدل علي طبعه العزيز،
وبديهته الحاضرة، وموروثه الثري، ولذلك ظهر عنده هذا النشاط الخيالي. إذ نراه يفدي
الحبيب نفسه ويتحدث عن الخيال والطيف:
بِنَفْسِي مَنْ إِذَا مَا رَمْتُ وَصَفًا لِحُسْنِ فِيهِ أُعَيَّتَنِي صِفَاتِي
(١: ٢٩٧)

أو قال في مقطوعة أخرى:
بِنَفْسِي مَنْ رَأَيْتُ بُجْنَحَ لَيْلٍ فَضَاءَ بَنُورِ طَلْعَتِهِ الطَّرَافَا
(٢: ١٢٣)

ويبين أن الاهتمام بالخيال هو ناشئ عن صد الوشاة الحبيبة عنه؛ وإذا لم يكن له
سبيل للوصول إليها فالأحسن أن يهتم بخيالها ويتمني أن يزوره طيفها:
إِلَى أَنْ صَدَّكَ الْوَاشُونَ عَنَّا فَمَا نُزْدَارُ إِلَّا فِي الْخَيَالِ
(٢: ٣١٨)

وله مقطوعات كثيرة خصها بالطيف ووصفه وكيفية زيارته إياه .. قال مشيرا إلي
زيارة الطيف إياه وأنه لم يحصل وصل بينهما وكأنه لقاء مزخرف:
فَلَلَّهِ فِي جُنْحِ الدُّجْنَةِ عَائِجٌ تَصِيدُنِي بِالْحَبِّ فِيمَا يَطُوفُ
وَأَغْنَى وَمَا أَغْنَاكَ إِلَّا تَعَلَّةٌ وَصَالٌ مُحَالٌ أَوْ لِقَاءٌ مَزْخَرَفٌ
(٢: ١١٤)

أو نلاحظ أنه يتمني أن يكون الليل طويلا لتدوم زيارة الطيف له:
فليس الصبح من أربي وحسبي ظلال الليل أسكنه ظللا

(٢: ٢٨٧)

تؤدي مشاعر الحبيبة المتناقضة ما بين الرضي والسخط أو كون كل منهما علي حالة تناقض حال الآخر إلي اضطراب الشاعر وقلقه فيقول:

منا الوصال ومنكم الهجرُ وعلى إساءتكم بنا الشكرُ

(٢: ٤٥١)

أو قال في بيت آخر:

من بعد ما كان الوصال سبيلنا فيه وكان الهجر منه سبيله

(٢: ٢٥٨)

والمقابلة التي يستخدمه الشاعر في غزله في الحقيقة تبين ذروة هذا التناقض.. والاقتراب من القرآن الكريم لا نري له أثرا في الشعر الغزلي للشريف المرتضي لأن الغزل لا يصلح أن يكون ميدانا ليجول الشاعر فيه باقتباسات. ولكن هناك بيت يذكرنا بالآية الكريمة: **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ** ﴿الزخرف ٤٣: ٧١﴾ والبيت هو:

وفيك ما تشتهي النفس من مني وليس إلي ما تشتهي سبيل

(٢: ٢٧٧)

مع كل استخدام الشاعر المحسنات اللفظية والمعنوية في شعره الغزلي إلا أننا نلاحظ أنه لم يبالغ في تزيين شعره بها كأن هذه الأشعار جاءت بصورة عفوية غير متعمدة نابعة عن عاطفته الشديدة الوقادة وإحساسه المرهف لشري المعاني وتوضيحها وتجليها. لا نحصل علي ظاهرة فنية ألا وهي القصة الشعرية التي نلاحظها بصورة خاصة عند الشعراء مثل عمر بن أبي ربيعة في شعر الشريف المرتضي ولكن هناك بعض الحوارات ذكرها في شعره:

وخبرتها يوم التقينا بذئ النقا تعجب من وجدي وما عرفت وجدا
وتحسب أنني مدع عندها الهوى وتعرض عن دمع بها أترع الخدا
فيا ليتني لم أكس منها صباة كما هي ظنت لا ولم أعرف الجهدا
ولما قرعنا بالنوى حين غفلة تجلدت مشتاقا لتحسبني جلدا
وطار بقلبي طائر البين عن يدي على أنني ما جرت يوم النوى قصدا

(١: ٣٩٨)

ومن الومضات الأسلوبية في الشعر الغزلي عند الشريف المرتضي نلاحظ أنه أحيانا يمزج بين الغزل ووصف الطبيعة فمثلا يجعل العلاقة بين الغزل ووصف البرق.. إليك نموذجا منه إذ قال:

تَراءت لنا بالأبرقِ بَروقُ شُروقٍ لأفقي غابَ عنه شُروقُ
كَأنَّ نجومَ الليلِ دُرٌّ وبينها تألؤُ إِيماضِ الومِضِ بَروقُ
يلوح ويخفى ثم يدنو ويتنّسي ويوسع من مجراه ثم يضيقُ
وشوقني إِيماضُه نحو أوجهٍ لهنَّ سناءً والمشوقُ مشوقُ

(٢: ١٦٣)

ألفاظه في الشعر الغزلي سهلة، جزلة، بعيدة عن التكلف... كأن عاطفته هي صداقة كل الصدق في بيان عواطفه ومشاعره وينطلق في التعبير عن إحساساته ووجداناته كأنه يتحول إلي أحاسيس صداقة وعواطف خالصة.

النتيجة:

بعد التطواف الذي قمنا في أشعار الشريف المرتضي الغزلية حصلنا علي عدة نتائج هامة؛ منها:

- عاطفة الشاعر في شعره الغزلي صداقة وخالصة وإن تخرج أحيانا عن هذه الصداقة تقليدا للماضين في ذكر الغزل في مقدمات القصائد وخاصة الفخرية منها.
- أهم الموضوعات التي ذكرها الشريف المرتضي في شعره الغزلي و في موضوع العشق هي:
 - الشكوي من الصد ، التوجع من الشوق والبعد والهجران ، العاشق لا صبر له ولا جلد ، التحسر من انصراف الغواني عنه بعد شبابه ، العاشق يبكي بكاء شديدا ، لا يجدي اللؤم والعدل في طريق العشق ، لا يمكن للعاشق كتمان سره ، لا نسيان في العشق ، الحب داء لا دواء له ، لا لذة في الدنيا إلا لذة الوصال ، العاشق هو العفيف ، العاشق هو الصادق والخالص ، العاشق هو السقيم ، العاشق هو ذليل العشق ، صفات الحبيبة و...

- المعجم اللغوي لدي الشريف المرتضي يشتمل علي مجموعة كبيرة من الألفاظ كالهجر، الفراق، البين، الوصال، ...
- لغته الشعرية رقيقة مناسبة عذبة وكأنها قريبة من نفوس المتلقين.
- أجاد الشريف المرتضي الحديث عن الأحباب والمحبين وكأنه عاشق ذاق لوعة الحب وعرف طعمه.
- لم يكثر الشريف المرتضي من المحسنات اللفظية والمعنوية في شعره الغزلي وإن لا يخلو هذا النوع من شعر منها وذلك لإثراء شعره وتوضيح المعاني. ومن أهمها الطباق، التشبيه، الاستعارة ..
- يهتم الشاعر في غزله أحيانا ببعض الأخلاقيات ومكارم الأخلاق مع أن الغزل هو مجال بيان الحب والعشق ولكن الشاعر استفاد من كل فرصة سنحت له لذكر مكارم الأخلاق وتنبية المخاطب علي ما يجدر فعله.
- لعل إجادة الشاعر لبيان هذه المعاني حتي كأنه جرب الحب وألغى به يدلنا علي تجاربه الصادقة وثقافته الشعرية حيث أفاد منهما إفادة كبيرة في صوغ أشعاره الغزلية.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم.
١. ابن رشيق، أبو الحسن بن رشيق. العمدة. تح: محي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل. ١٩٧٢م.
 ٢. ابن قتيبة، . الشعر والشعراء. بيروت: دار الثقافة. ١٩٦٩م.
 ٣. الأصفهاني، أبو الفرج. الأغاني. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة. ١٩٦٣م.
 ٤. النويهي. محمد. الشعر الجاهلي. القاهرة: الدار القومية. د.ت.
 ٥. ضيف، شوقي. التطور والتجديد في الشعر الأموي. القاهرة: دار المعارف. ١٩٦٥م.
 ٦. ليب، الطاهر. سوسيولوجيا الغزل العربي (الشعر العذري نموذجاً). ترجمة مصطفى المسناوي. د.م : عيون - دار الطليعة. د.ت.
 ٧. براونة، فالتر. الوجودية في الشعر الجاهلي. مجلة المعرفة السورية. السنة ٢. ١٩٦٣م.

٨. الأيوبي، ياسين. عمر بن أبي ربيعة رائد شعر الجمال والغزل الصريح. د.م: رشاد برس. ٢٠٠٩م.
٩. الشريف المرتضي. ديوان الشريف المرتضي. حققه ورتب قوافيه وفسر ألفاظه رشيد الصفار. راجعه وترجم أعيانه: مصطفى جواد. قدم له محمدرضا الشيباني. بيروت: المؤسسة الإسلامية للنشر. ١٩٨٧م.
١٠. ابن خلكان. أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دارالثقافة. ١٣٩٧هـ.
١١. الحموي. شهاب الدين ياقوت. معجم الأدباء. ط٣. بيروت: دار الفكر. ١٩٨٠م.
١٢. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت.
١٣. محمد الحوفي، أحمد. الغزل في العصر الجاهلي. القاهرة: دار النهضة. ١٩٨٢م.